

## شعرية البياض في قصيدة المهرولون لـ "نزار قباني"

*The poetry of whiteness in the poem the joggers of Nizar Qabani*د/عائشة عمار<sup>1</sup>\*<sup>1</sup> جامعة حسبية بن بوعلي-الشلف (الجزائر)، aicha.amar22@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2024-04-20 تاريخ القبول: 2024-05-24 تاريخ النشر: 2024-06-01

## مُلخَصُ البَحْثِ

شهد الخطاب الشعري العربي المعاصر مجموعة من التحوّلات والتجاوزات انعكست في تلك البدائل الفنيّة والتقنيات الجديدة التي صاحبت قراءة النصّ الشعري المعاصر والتي أصبحت ميزته في سماتها الفنيّة وتحوّلاتها الجديدة في علاقة جدلية بين الشّاعر والمتلقّي ودورهما في إنتاج المعنى .

فبعدها كان الشّعراء يعبّثون القصيدة بالعلامات اللّسانية ويحرصون على امتلاء فضائها النصّي، بات الشّع المعاصر اليوم يشهد تناغما بين مجموعة من الثنائيات (الكتابة والمحو، الإفصاح والتلميح، السّود والبياض)، أين يخترق الصّمت كلام الشّاعر، فسيمائيّة البياض أصبحت اليوم كتابة إبداعية تشدّ انتباه القارئ كطرف فاعل ومتفاعل في هذه التجربة الإبداعية لتنشيط مخيلته ومشاركته في البحث عن ثيمات البنى الفنيّة، أين أصبح المعنى مسكونا في بياض القصيدة .

ويعدّ "نزار قباني" من بين الشعراء المعاصرين الذين تفتنّوا في توظيف لغة الصّمت في قصائده التي ارتسمت في بنيتها بالتلميح الذي ترّبع على مساحة البياض، ولاسيما قصيدة المهرولون.

وبهذا يهدف هذا البحث إلى ترصد آليّة البياض وتجلياتها في قصيدة المهرولون معلنا تميّز هذا الشّكل الشعري في انتقاء هذه التقنيّة وتوظيفها بما يخدم الشّاعر لبنائه الدلالي الذي تشيّد آفاق القارئ التّأويلية، أين تتحقّق القيمة الجماليّة للنصّ، وأين تتدقّق شعريّة النصّ من خلال الانفتاح على الكتابة والتفاعل معها.

فما المقصود بالبياض؟ وفيما تكمن شعريّته في النصّ الشعري العربي المعاصر وبالتحديد قصيدة المهرولون؟.

\* المؤلف المرسل: د/عائشة عمار

**Abstract:**

Contemporary Arab poetic discourse a group of transformations and transgressions that were reflected in those artistic alternatives and new techniques that accompanied the reading of contemporary poetic text, which became its distinctive feature in its artistic features and new transformations in a dialectical relationship between the poet and the recipient and their role in producing meaning. After poets used to fill the poem with linguistic signs and were keen to fill its textual space, contemporary poetry today is witnessing harmony between a group of dualities (writing and erasure, disclosure and allusion, blackness and whiteness), where silence penetrates the poet's words. The semiotics of whiteness has today become creative writing that attracts the reader's attention. As an active and interactive party in this creative experience, to activate his imagination and participate in the search for the themes of artistic structures, where meaning has become inhabited in the whiteness of the poem.

Nizar Qabbani is considered one of the contemporary poets who excelled in employing the language of silence in his poems, which were characterized in their structure by the allusion that sat on the space of whiteness, especially the poem "The Joggers." This research aims to monitor the mechanism of whiteness and its manifestations in the poem "The Joggers," declaring the distinctiveness of this poetic form in selecting this technique and employing it in a way that serves the poet for his semantic construction, which is constructed by the reader's interpretive horizons, where the aesthetic value of the text is achieved, and where the poetics of the text flows through openness to writing and interaction with it. What is meant by whiteness? Where does his poeticism lie in contemporary Arabic poetic text, specifically the poem "The Joggers"?

**Keywords:** whiteness ; silence; poetics; the poem; The Joggers.

خطا الشعر العربي المعاصر خطوات واسعة متجاوزا بذلك النمط التقليدي المؤلف - الذي سيطر على فن الشعر ردحا من الزمن - معلنا حوضه في غمار الحداثة والتجديد بتوظيف آليات جديدة تخفف عبء القصيدة في بنائها الظاهري الذي أثقل كاهلها بتركيب مرصع لمجموعة من الألفاظ أين بدت المفارقة الشعرية واضحة بين النصين الشعريين القديم والمعاصر في ظل تلك التغيرات والتطورات التي تعالقت مع المتن الشعري، ملامسة الواقع بأفاق واسعة من التأويلات اللامتناهية من طرف القارئ الذي أصبح طرفا مهما لسر أغوار النص وفك مغاليقه بملء فجواته التي تكتنز دلالات كثيرة في فضاء النص ممثلة في مساحة البياض التي غدت عنصرا فنيا ينسج النص كتشكيلة فنية تتدفق شعرية وجمالية وكميزة أساسية في الشعر المعاصر .

## 2. آلية البياض في الشعر العربي المعاصر:

مارس الشعراء المعاصرون مجموعة من التقنيات الفنية المعاصرة والتي ارتسمت في متوهم الشعرية فشكّلت منعرجا حاسما في بنائية القصيدة وإيحائيتها، زادت هذه الأخيرة شعرية وجمالية انعكست في تلك الدلالات العميقة والمفتوحة التأويلات، ومن تلك التقنيات مفارقة السواد والبياض، فكانت هذه الخطوة دليلا واضحا على قدرة الشعراء المعاصرين على تمثّل مختلف الآليات الفنية التي من شأنها تصنيف أعمالهم الإبداعية ضمن الإنتاجات الفنية المتميزة .

كما وجد الشعراء المعاصرون ضالتهم في هذه الآلية بإحالة الكلام إلى لغة السكوت ، وبعدها أدركوا إيحائية القصيدة في صمتها أكثر من إفصاحها عن المعنى، و أين أصبح هاجس الصمت يفرض متلقيا متميزا بلمسات تأويلية تميّط اللثام عن القصيدة التي تنبض بالمعنى والدلالة . وقد حفلت الخطابات الشعرية العربية المعاصرة بنماذج عديدة توظف البياض لدافع الشعراء المعاصرين القوي إلى توظيف هذه الظاهرة نظرا لما حقّقه من ديناميكية داخل النسق اللغوي.

ومن الأسماء اللامعة التي أبدعت في توظيف هذه التقنية نجد مثلا : سعدي يوسف، خليل حاوي، أدونيس، صلاح عبد الصبور...

ويعدّ "نزار قباني" من بين الشعراء المعاصرين الذين تفتّنوا في توظيف لغة الصمت في قصائده التي اعتمدت في بنيتها على التلميح الذي تربّع على مساحة البياض، ولاسيما قصيدة المهرولون<sup>1</sup> التي أفصحت عن الشرح الموجود في تركيبها بتمثلها لهذه الآلية وانتشارها على بعض

مقاطعها التي شهدت انجbas صوت الشاعر واكتفائه ببعض القرائن اللفظية التي تنقل عمق إحساسه وإيحائية حالته النفسية التي استدعت سكوته لأمر ما كان لييوح بها من خلال تلك الفجوة التي تخللت بعض جزئيات القصيدة ممثلة في بعض المواقف بنقاط أو استفهام يسترشد التصوير الدلالي للشاعر، أين تتكوّن فجوة الغموض لدى القارئ لتتسع معه في ظلّ قراءته التأويلية على متن النصّ.

ولعلّ هذا الأمر جعل الشاعر تواقا إلى ((توظيف البياض بوصفه نصا موازيا داخل النص، وأنّ المتلقي يجد نفسه أمام نصين: (نص حاضر في المكتوب، ونص مغيب في البياض)، غير أنّ هوى البصر يميل إلى المغيب في البياض الذي لا يفصح عن نفسه بصورة واضحة، ولا يبين عن خواطره بشكل متواز مع المتن، سواء عن طريق الترغيب أم عن طريق الترهيب، وفي كلتا الحالتين يتعزّز الإضمار عما لا يرغب في التصريح به بحنكة عالية...))<sup>2</sup>.  
والتوق المعرفي للقارئ في سبيل إشباع توقعاته، يجعله يتبني لغة كشفية تسعى لـ((الكشف عن عالم يظل أبدا في حاجة إلى الكشف))<sup>3</sup>.

وهو ما من شأنه خلق تلك الإبداعية والشعرية من خلال الانفتاح على الكتابة والتفاعل معها، لاسيما وأنّ الشعرية مفهوم تمخض من النظام اللغوي وبإسقاط العناصر الأدبية (الإيحائية) تحول إلى خطاب أدبي. وهذه العناصر الشعرية (الأدبية) هي ما يوافق قوانين الإبداع في بنية الخطاب الأدبي بوصفه نصا و ليس أثرا أدبيا و لكن ((تجلى الاختلاف في طبيعة تصور تلك القوانين. فالشعرية بخضوعها لنظرية الانبثاق، أي انطلاقها من النص ذاته كونه بنية مفتوحة، اكتسبت تعددية في استنباط القوانين وإثراء مجالها، ذلك أن النص مكتوم في الكلام، و لاستنطاق هذا النص لا بد من طرائق تختلف من باحث إلى آخر، و لهذا يصبح الحديث عن استنطاقات عدة لا استنطاق واحد...))<sup>4</sup>.

فأساس الشعرية التي تنهض عليها هذه الدراسة قائمة على وصف بنية القصيدة من خلال الأثر الذي يتركه البياض المتناثر في بعض أجزاءها، مع استقراء مكوناته واكتشاف مضامينه والتركيز على القوانين التي تحكمه من عدة جوانب كالمتنافر والانزياح... وغيرها من المظاهر التي تعبر عن واقع اللغة الأدبية بما فيها اللغة الشعرية، خاصة و أنّ ((الشعرية (مقاربة الأدب) لا تعني تناول

العمل الأدبي في ذاته، وإنما تكريس الجهد لاستنطاق خصائص الخطاب الأدبي بوصفه تجلياً لبنية عامة لا يشكل فيها هذا الخطاب إلا ممكناً من إمكاناتها، ولهذا لا تبحث الشعرية في هذا الممكن فحسب، وإنما في الممكنات الأخرى أو في الممكن الآخر<sup>5</sup>.

وبهذا تشكلت الشعرية ((قوانين الخطاب الأدبي، وهذا هو المفهوم العام والمستكشف منذ أرسطو (322-384 ق.م) حتى الوقت الحاضر، غير أن الشعرية الحديثة لم تنحصر في مجال نظريات الأدب، بل اتسعت لتشمل فنونا إبداعية أخرى منها الفن التشكيلي والفن السينمائي، كما اتسع المدى أكثر فأكثر ليصل إلى البحث في شعرية الأشياء الواقعية كما عالجها غاستون باشلار في كتابه "جماليات المكان"، و شعرية التصورات الذهنية كما عالجها كمال أبو ديب في كتابه "في الشعرية" الذي قدم فيه ما سماه نظرية الفجوة : مسافة التوتر<sup>6</sup>.

### 3.توظيف آلية البياض ودلالاتها في قصيدة المهولون :

يعدّ البياض ((رحم تتجمهر فيه احتمالات كتابة منظورة لاسترسال المحو حيث القارئ وحده يستطيع ملء الفراغ كلّ مرّة يقرأ فيها النصّ))<sup>7</sup>.

و((عملية احتفاء البياض لا تؤدّيها مرجعية ولا يتعقّبها منطق في حضورها وتوزّعها بين الروابط والجمل والمقاطع الشعرية ، وعليه فقراءته أو مباشرته لا تحدث إلا بالدمج مع سيولة السواد وتداخله بجميع علاماته التي تسم النص المكتوب على امتداد تشكّله<sup>8</sup>))

فتتحوّل أيقونة الكلام إلى أيقونة السكوت والصمت، فيغدو هذا الأخير مكثلاً للكلام، ذلك أنّ ((الخطاب لا وجود له من دون علاقتهما المتبادلة. الصمت ليس فضلة، أو وربما يلزم اقتلاعه أو فراغا للملء))<sup>9</sup>، وإنما هو جزء مهم في الخطاب كونه يحمل إيحائية الدلالة في البناء الفني للنصّ الشعري المعاصر الذي بات يستدعي تفاعلاً للقارئ وكونه طرفاً مهماً في استنطاق النصّ وفك مغاليقه والولوج إلى المعنى الذي ينبض به النصّ والذي يمثله البياض المنتشر في أجزاء القصيدة.

وهو بذلك (( يدخل في التواصل بحصة متساوية مع اللغة وتظهرات الجسد التي تصاحبه))<sup>10</sup>.

والمتممّن لقصيدة المهولون يلاحظ أنّ الشاعر قد تفتّن في توظيف هذه التقنية التي تناثرت في بعض مقاطع القصيدة فقد تربع البياض معبراً عن مكابدة الشاعر لآلام الحسرة والاكتئاب . فالشاعر اتخذ من البياض ملاذاً له للتعبير عن تأزم نفسيته وآلية لتشديد البناء الصوتي الدلالي للقصيدة، وإن كانت نبراته غير مسموعة ولكن في صمتها دلالة واضحة على عمق إحساس الشاعر.

وتشظّي هذا الإحساس الذي انبثق من القصيدة في حالة الصمت استهوى القارئ الذي كان مهياً لاستنطاق النص الشعري وسدّ الفجوة التي خلفتها مساحة البياض.

#### 4. أنواع البياض ووظائفه الدلالية :

صيرّ الشاعر "قباني" تقنية البياض كآلية مرثية وواقعا محسوسا فراح يوظفها في صياغات متنوّعة في سطوره الشعرية ليعبر من خلالها عن أوجاعه وآلامه وانكسار طموحاته وتبدّد آماله . وفي أشكال مختلفة لهذا الحيز النصي الفارغ ( البياض) يقف المتلقي لاستغلال هذه الفجوة البنائية المفارقة للنمط الشعري المعتاد وسدّها بتأويل ما انجس من سلسلة الكلام .

وقد اتخذ البياض في هذه المقاطع الشعرية ألوانا متعددة تمثّلت مثلا في:

أ-نقاط الاسترسال: تنعكس وقفة البياض في صمت الشاعر، الذي افتتح قصيدته بتضاد دلالي بين الفرحة والسّرور (فرحنا، رقصنا) وغياب النخوة العربية (بيست فينا عروق الكبرياء).

1-سَقَطَتْ آخِرُ جُدْرَانِ الْحَيَاءِ

وَ فَرَحْنَا.. وَ رَقَصْنَا..

وَتَبَارَكْنَا بِتَوْقِيعِ سَلَامِ الْجُبْنَاءِ

وَلَا يَعُدُّ يُرْعِبُنَا شَيْءٌ..

وَ لَا يَخْجَلُنَا شَيْءٌ

فَقَدْ يَيْسَتْ فِيْنَا عُرُوقُ الْكِبْرِيَاءِ<sup>11</sup> ...

فقد حمل المقطع معاني عميقة مختزلة في تلك النقاط التي تناثرت في مقاطع القصيدة معبرة عن تفاوض بلدان عربية مع الإسرائيليين، ولم يفصح عن ذلك إلا أنّ القرائن اللفظية التي توصل بها

الشاعر تعبّر عن ذلك ( تباركنا، بتوقيع، سلام الجبناء) في بياض تسلّل عبره القارئ إلى متن القصيدة لكشف المستور، أين تناغمت ثنائيتي ( السواد والبياض) لتكوّن الأسطر في سلاسة وعدوبة وحفّة .  
ويواصل الشاعر- في هذا المقطع- ردود الفعل العربي في ظل هيمنة الصّهانية في عبارات موجزة ( قصر الألفاظ وكثرة المعاني التي تشتمل عليها )، مركزا على اللامبالاة العربيّة (دون أن تهتز أو نصرخ أو...) من جهة والانكسار والتذلل أمام العدو الصهيوني (وتسابقنا لتقبيل حذاء القتلة ) من جهة أخرى.

فالشاعر يختزل كلامه بمحو علامات لسانيّة تنوب عنها النقاط المتناثرة على حساب السواد والتي تشير إلى انقطاع استرسال صوت الشاعر وانجباسه ليفتح أمام المتلقّي فرصة أخرى لممارساته التّأويليّة.

**ب- البعد التصويري باستعمال الرموز :** ينح الشاعر في هذا المقطع الشعري منحى مختلفا في توظيفه للبياض فيستفتح هذا المقطع بتوظيف مجموعة من الرموز، إذ يلتزم الشاعر البعد التصويري الذي يشير إلى تكثيف الدلالة في حيّز أساسه انجباس الكلام ما يتيح للقارئ تلمّس عمقه وإبصاره. وتصوير الشاعر موزّع بين البوح والسكوت الذي يلازمه في تجربته الشعريّة بإسقاط الرموز الدلاليّة المختلفة ( غرناطة، إشبيلية، أنطاكية... ). كذلك التكرار المستمر للفعل سقط، -الذي يوحي هو الآخر - أنّ الشّاعر أراد أن يفصح عن الانكسار العربي في يد الصّهانية والرّضوخ لهم لكنّه تراجع عن ذلك مكتفيا بتكرار هذا الفعل -عوض الإبانة عن ذلك مباشرة -فاقتزن ظهوره بالمعالم الكبرى ( إشبيلية، أنطاكية ، ...)، هذه المعالم الرامزة إلى الصمود والثبات ، تنتظر من يعيد إليها كرامتها وعزّتها (فَمَا مِنْ رَجُلٍ يَنْقُدُ الرَّمْزَ السَّمَاوِيَّ).

فالرموز المنتقاة كانت متنفس الشّاعر لإخراج الدّوافع المكبوتة، وكانت كافية للتعبير عن حسرته وانهماره النفسي والذي استطاع أن يستقطننا إليه ويشعرنا بالانكسار العربي، فكانت كفيلة للتعبير عن عمق الحسرة التي يعيشها الشّاعر، وكأنّه بحاجة إلى مواساة القارئ للتخفيف عنه حدّة الألم ولوعة الحزن أين يعبرّ البياض عن عمق الدلالة وبعد التصوير الذي يلخص أثر الجراح و ذروة اليأس. فيقول:

4- سَقَطَتْ غَرْنَاطَةٌ

-للمرّة الخمسين - من أيدي العرب.

سَقَطَ التاريخُ من أيدي العرب.

سَقَطَتْ أعمدةُ الروح، وأفخاذُ القبيلة.

سَقَطَتْ كُلُّ مواويلِ البطولة.

سَقَطَتْ إشبيلية..

سَقَطَتْ أنطاكية..

سَقَطَتْ حطينُ من غيرِ قتالٍ..

سَقَطَتْ عمورية..

سَقَطَتْ مَرِيَمُ في أيدي الميليشياتِ

فَمَا مِنْ رَجُلٍ يَنْقُذُ الرَّمزَ السَّمَاوِيَّ

وَ لَا تَمَّ الرُّجُولَةَ..

5-سَقَطَتْ آخِرُ محظياتنا

في يدِ الرومِ فَعَنَ ماذا نُدافعُ؟

لَمْ يَعُدْ في القَصْرِ جاريةٌ واحدةٌ

تَصْنَعُ القهوةَ.. و الجنسَ..

فَعَنَ ماذا نُدافعُ؟؟<sup>12</sup>

فحضور الفعل ( سقطت ) تارة وغيابه تارة أخرى في المقاطع هو ما يعزز ذروة الألم النفسي

لدى الشاعر، إذ تبدو حاجته إلى البياض ماسة لإخفاء الفعل و استحضاره مجددا لإيقاظ إحساس

المتلقي.

7-تَرَكَوا غُلْبَةَ سُرْدِينٍ بَأَيْدِينَا

تُسَمَّى "غَزَّة"

عَظْمَةً يَابِسَةً تُدْعَى "أَرِيحَا"

فُنُدُّفًا يُدْعَى فَلَسْطِينًا..



بلا سَقْفٍ ولا أَعْمَدَةٍ..

تَرَكُونَا جَسَدًا دُونَ عِظَامٍ

وَ يَدًا دُونَ أَصَابِعٍ<sup>13</sup> ...

على غرار المقطع السابق الذي شهد تكرار الفعل سقط يتبين من هذا المقطع غياب الفعل تركوا باستثناء حضوره في السطرين الأول والسادس ، فالشاعر أدرك وجوب غياب الفعل في بعض الأسطر و استدراكه مرة أخرى لأنّ استحضاره في المقطع كله يجعله مبتذلاً من حيث الجانب الفني، وربما قد تعمّد إخفائه حتى يلبس المقطع حلة فنية وحتى يترك فجوة أو مسافة جمالية بينه وبين القارئ ليستقطبه أكثر من خلال مشاركته له التجربة الإبداعية.

**ج- الاستفهام :** توظيف الاستفهام هو الآخر من أصداء البياض كونه يوسّع من مساحة البياض فتحيل الإجابة عن استفسار الشاعر إلى تأويلات لا متناهية تستلزم تدخّل القارئ ، مثلما توضّحه الأسطر الآتية :

8- لَمْ يَعُدْ نَمَّةٌ أَطْلَالٌ لَكِي نَبْكَى عَلَيْهَا.

كَيْفَ تَبْكَى أُمَّةٌ

أَخَذُوا مِنْهَا الْمَدَامَعُ

12- مَا تُفِيدُ الْهَرُولَةَ؟

عِنْدَمَا يَبْقَى صَمِيرُ الشَّعْبِ حَيًّا

كَفْتِيلِ الْقُنْبُلَةِ..

لَنْ تُسَاوِي كُلَّ تَوْقِيعَاتِ أَوْسَلُو..

خَرْدَلُهُ!!

14- مَنْ تُرَى يَسْأَلُهُمْ عَنْ سَلَامِ الْجُبْنَاءِ؟

مَنْ تُرَى يَسْأَلُهُمْ عَنْ سَلَامِ الْبَيْعِ بِالتَّقْسِيطِ...؟<sup>14</sup>

فقد فجر الاستفهام في هذه القصيدة مشاعر الأسى والحسرة بطرح الشاعر جملة من التساؤلات ( كَيْفَ تَبْكِي أُمَّةً أَخَذُوا مِنْهَا الْمَدَامِعَ؟ .. مَا تُفِيدُ الْهَرُؤْلَهُ؟ مَنْ تُرَى يَسْأَلُهُمْ عَنْ سَلَامِ الْبَيْعِ بِالتَّقْسِيطِ...؟ مَنْ تُرَى يَسْأَلُهُمْ عَنْ سَلَامِ الْجُبْنَاءِ؟ وقد دلّ الجواب على الاسم المحذوف والتقدير هم العرب، ولكن وفي انتظار الإجابة والإفصاح عن السائل يفسح الشاعر المجال واسعاً للمتلقى لمشاركته هذه الصورة الفنية الموحية، لتعبّر هذه التساؤلات عن حسرة الشاعر على المصير الذي آلت إليه البلدان العربية وإن لم يفصح الشاعر عن إجابته لتلك الأسئلة، إلا أنّ تقدير الجواب يعبر عن ذلك.

من خلال هذه المقاطع يمكننا أن نستطلع استعمال الشاعر للبياض الذي استطاع من خلاله أن يعبر عن إحساسه وآلامه التي يعانيتها تجاه البلدان العربية ومصير هذه الأخيرة التي تصوغها الأنظمة الغربية على حسابها.

ف ((الخلق الفني كثيرا ما يكون استجابة لمنبهات نفسية تتمخض منها حاجة ما، أو يكون متنفسا يفرج فيه الأديب عن غرائز أو رغبات مكبوتة، وتطفو مقاصد المتكلم ونواياه على سطح الخطاب في شكل إشارات لسانية تنصهر في اللغة))<sup>15</sup>.

وإن تعددت صيغ توظيف البياض، فإنّ الشاعر استطاع أن يؤسس لكتابة إبداعية جديدة بحرق بنية الشعر المألوفة، مزوجا بين ثنائية السواد والبياض، محافظا على إيقاع الكلام، أين تتحقّق شعرية الخطاب وتتجلّى قيمته الفنية .

وعليه فالقصيدة عند الشاعر تراهن على اختصار العبارات وكثافة المعنى وشعريته كما تراهن الكتابة الشعرية عنده على خلق نوع من الخصوصية والمعاصرة والمفارقة وشعرية العناصر اللغوية المكوّنة للنص الشعري والتي ترقى من كونها مادّة للقصيدة إلى لغة تمارس على القارئ نوعا من سحر المجاز وغواية الرمز فتندقق بالمعاني وترخر بالإيحاءات التي تستدعي من القارئ التدخّل لملا تلك الفجوات وإشباع توقّعاته بكشف ما تخترنه القصيدة من طاقات شعرية إيحائية وجمالية والتي من شأنها ((الكشف عن تأثير النص في القارئ))<sup>16</sup>.

وهو ما يشي أنّ البياض المتحدّث عنه لم يكن مجرد آلية اقتضتها الحاجة الكلامية للمتكلّم وحسب بل كان أيضا لرغبة الشاعر في خلق الصّورة الجماليّة في المقام الأوّل ، ولذلك تمّ الاحتفاء بها في هذه القصيدة نظرا لما أحدثته من ديناميكيّة داخل التّسق اللّغوي، ممّا أضفى على النّص حراكا غير عادي باستحضار قرائن لفظيّة عبّرت عن قصديّة الشاعر من جهة، و من جهة أخرى أخفت حقيقة المرموز إليه. وهنا تكمن حقيقة الخطاب الشعري وخصوصيته حينما يغير الرّؤية المباشرة إلى دلالات مطلقة لاسيما وأنّ (( الرمز حين لا ينقلنا بعيدا عن حدود القصيدة ونصها المباشر لا يمكن الادعاء بأنه رمز، الرمز هو ما يتيح لنا أن نتأمل شيئا آخر وراء النص، فالرمز هو قبل كل شيء معنى خفي وإيحاء))<sup>17</sup>.

وطبيعي هذا الأمر مادام أن (( بلاغة النص الشعري الحديث ناجمة عن انفجار لغة النص وخروجها عن القوانين المقيدة للغة العادية))<sup>18</sup>.

### 5. خاتمة :

هكذا إذن لخصت قصيدة المهرولون تجربة الشاعر الاجتماعيّة والإنسانيّة والعمق الشعوري والوجداني لواقع المجتمع الذي لازمه في نصّه الشعري، فقد حفل هذا الأخير بشعريّة البياض وجماليّته التي ارتسمت في بنية القصيدة وفي بعدها الدلالي الذي زينه إنتاج المتلقي ومشاركاته التأويلية في الخلق الفني وفي صمت الشاعر الذي تشظّت دلالاته في خبايا البياض وفي سكوتيّة أعلنت عجز الشاعر عن تحمّل جرح مجتمع ضاقت به الدّنيا فكانت دعوة الشاعر للقارئ ملحة لمشاركة هذا الفنّ الإبداعي بإنتاج الدّلالة التي عرفت تكتّفا في صمت المتكلّم ليحمّله مسؤوليّة تخفيف الأوجاع بأفاهه التأويلية والتي تملئها الدلالات المكثّفة المحتزّنة في إحساس الشاعر المرهف .

فقد عكست القصيدة التغيّرات الفنيّة الجديدة والتقنيات المعاصرة، إذ تمكّن الشّاعر نزار قباني من تمثّل الخصائص الفنيّة التي جسّدت إحساسه وجانبه الشعوري ممثّلا في فسيفساء السّواد والبياض فاستطاع أن يتخطّى النمط التقليدي لسلسلة الكلام الخطيّة وهو مؤشّر واضح على ممارساته الجديدة في تأليف القصيدة وتحديثها والتي قلّصت حجم المعاناة والحسرة التي أراد الشّاعر أن يعبر عنها، وهنا تكمن شعريّة البياض ودوره في بنية القصيدة .

فقد كانت هذه الوسيلة الفنية دعامة لتحقيق ميزته الإبداعية ومآثر أمته بتلك الدلالات الثانوية التي تمخضت من لفظة " المهولة".

## الهوامش

<sup>1</sup>-هي قصيدة من القصائد التي أبدع فيها الشاعر نزار قباني مستنكرا من خلالها تفاوض مجموعة من البلدان العربية مع إسرائيل، سرا وعلائية، على مائدة المفاوضات أو من تحتها ... ووقت أن نشرها أحدثت دويًا هائلا في الأوساط الثقافية .. وهوجمت ..وعورضت ..وتباينت في شأنها ردود الأفعال واختلقت ...

للمزيد راجع: مجدى سيد عبد العزيز ، نزار قباني شعره بين مواطن الإبداع وأسرار الجمال ، الطبعة الأولى دار العالم العربي، القاهرة ، 1429هـ- يناير 2008 م، ص 236.

<sup>2</sup>-عبد القادر فيدوح : النسق المضمّر في الشعر العربي المعاصر، مجلة معارف، مج9 ، ع.17، <http://www.asjp.cerist.dz/en/article/9251.22>

<sup>3</sup>- أدونيس: زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت ، ، ط5. 1986 ص.9.

<sup>4</sup>-حسن ناظم: مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول و المنهج، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ، 2003، ص.55.

<sup>5</sup>-المرجع نفسه ، ص.31.

<sup>6</sup>-المرجع نفسه ، ص.12.

<sup>7</sup>-محمد بنيس : الشعر المعاصر ، دار توبقال للنشر ، الدّار البيضاء ، الطبعة الأولى ، 1990 ، ص.129 .

<sup>8</sup>-ناصر اسطمبول: بلاغة الصّمت وأيقونة البياض مقارنة تحليليّة لقصيدة البيضة العربية المعاصرة ، جامعة وهران ، 2003 ، ص.121.

<sup>9</sup>-لوبوطون (دافيد)، الصمت لغة المعنى والوجود، ترجمة فريد الزاهي، الطبعة الأولى، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، 2019، ص 22.

<sup>10</sup>-المرجع نفسه، ص.22.

<sup>11</sup>-عبد الفتاح الدراويش: روائع نزار قباني في الحبّ والسياسة، الأهلية، ص.215.

<sup>12</sup>-المرجع نفسه، ص1ص2 و 216 و 217.

<sup>13</sup>-المرجع نفسه، ص.217 و 218.

<sup>14</sup>-المرجع نفسه ،ص1ص2 و 218 و 219، 220.

<sup>15</sup>-فاضل ثامر، اللغة الثانية ، ط1، المركز الثقافي العربي ، الدر البيضاء ، 1994، ص.94.

<sup>16</sup>-محمد كريم الكواز، علم الأسلوب، مفاهيم و تطبيقات، دار منشورات ، ليبيا، دت.، ص.115.

<sup>17</sup>-مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حزي وشركاه، دط، دت. ص.71 .

<sup>18</sup>-مشري بن خليفة، القصيدة الحديثة في النقد العربي المعاصر، منشورات الاختلاف، 2006، ص 128.

قائمة المراجع:

- 1) أدونيس: زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت ، ط5. 1986 .
- 2) حسن ناظم: مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمنهج، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ، ، 2003 .
- 3) عبد الفتاح الدراويش: روائع نزار قباني في الحب والسياسة، الأهلية.
- 4) عبد القادر فيدوح : النسق المضمّر في الشعر العربي المعاصر، مجلة معارف، مج9 ، ع17،  
<http://www.asjp.cerist.dz/en/article/9251.22>
- 5) فاضل ثامر، اللغة الثانية ، ط1، المركز الثقافي العربي ، الدر البيضاء ، 1994.
- 6) لوبروطون (دافيد)، الصمت لغة المعنى والوجود، ترجمة فريد الزاهي، الطبعة الأولى، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، 2019.
- 7) مجدى سيد عبد العزيز ، نزار قباني شعره بين مواطن الإبداع وأسرار الجمال ، الطبعة الأولى دار العالم العربي، القاهرة ، 1429هـ- يناير 2008 م.
- 8) محمّد بنيس : الشعر المعاصر ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، 1990 .
- 9) محمد كريم الكوازي، علم الأسلوب، مفاهيم و تطبيقات، دار منشورات ، ليبيا، دت.
- 10) مشري بن خليفة، القصيدة الحديثة في النقد العربي المعاصر، منشورات الاختلاف، 2006 .
- 11) مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حزي وشركاه، دط، دت.
- 12) ناصر اسطمبول : بلاغة الصّمت وأيقونة البياض مقارنة تحليلية لبصريّة القصيدة العربيّة المعاصرة ، جامعة وهران ، 2003 .